البابُ الرابعُ

في الفَرْقِ بين أَقْسام العُلوم ومَا يجْري مَعَ ذَلكَ منَ الفَرْقِ بَيْنَ الإدْرَاكِ والوجْدَان، وفي الفرقِ بَيْنَ مَا يُضَادُّ العلُومَ ويُخالفُها

«الفرق» بين العلم والمعرفة أن المعرفة أخصُّ من العلم؛ لأنها علم بعين الشيء مفصلًا عمَّا سواه، والعلم يكون مجملًا ومفصلًا، قال الزهري: لا أصف الله بأنه عارف ولا أُعنِّفُ من يصفه بذلك؛ لأن المعرفة مأخوذة من عِرْفَان الدار، يعني آثارها التي تعرف بها، قال: ولا يجوز أن يكون علم الله تعالى بالأشياء من جهة الأثر والدليل، قال: والمعرفة تمييز المعلومات، فأوْمأ إلى أنه لا يصفه بذلك، كما لا يصفه بأنه مميز، وليس ما قاله بشيء، لأن آثار الدار إن كانت سُمِّيتْ عرفانًا فسُمِّيتْ بذلك لأنها طريق إلى المعرفة بها، وليس في ذلك دليل على أن كل معرفة تكون من جهة الأثر والدليل، وأما وَصْف العارف بأنه يفيد تمييز المعلومات في علمه، فلو جعله دليلًا على أن الله عارف كان أَوْلَى من المعلومات متميزة في علمه بمعنى أنها متخيلة له، وإنما لم يُسمَّ علمه تمييزًا؛ لأن التمييز فينا هو استعمال العقل بالنظر والفكر، اللَّذَيْن يؤدِّيان إلى تمييز المعلومات، فلم يمتنع أن تُوصف معلوماته بأنها متميزة، وإن كان لا يوصف بأنه مميز، لأن تميُّزها صفة لها لا له، والمعرفة بها تفيد ذلك فيها لا فيه، فكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة، وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلَّا بضَرْبٍ آخر من التخصيص في ذكر المعلوم، والشَّاهد قول أهل اللغة: إنَّ العلم يتعدَّى إلى مفعولين، ليس لك الاقتصار على أحدهما إلا أن يكون بمعنى المعرفة كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[الأنفال:٦٠] أي لا تعرفونهم، الله يعرفهم، وإنما كان ذلك كذلك؛ لأن لفظ العلم مُبْهم، فإذا قلت «علمتُ زيدًا» فذكرته باسمه الذي يعرفه به المخاطب لم يفد، فإذا قُلت «قائمًا» أفدت لأنك دلَّلت بذلك على أنك علمت زيدًا على صفة جاز أن لا تعلمه عليها مع علمك به في الجملة، وإذا قلت: «عرفتُ زيدًا» أفدت، لأنه بمنزلة قولك علمته متميزًا من غيره فاستغنى عن قولك متميزًا من غيره لما فيه لفظ المعرفة من الدلالة على ذلك. والفرق بين العِلْم والمعْرِفة إنما يتبيَّن في الموضع الذي يكون فيه جملة غير مبهمة، ألا ترى أنَّ قولَك: «علمتُ أنَّ لزيدٍ ولدًا» وقولك: «عرفتُ أنَّ لزيدٍ ولدًا» يجريان مجرى واحدًا؟

«الفرق» بين العِلْم واليَقين أن العلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة، واليقين هو سكون النفس وثَلجُ الصدر[1] بما علم، ولهذا لا يجوز أن يوصف الله تعالى بالقين، ويقال: ثلج اليقين وبَرْدُ اليقين، ولا يقال ثَلْجُ العلم وبَرْدُ العلم، وقيل: الموقن: العالم بالشيء بعد حِيرة الشَّكِّ، والشاهد أنهم يجعلونه ضد الشك فيقولون: شَكٌّ ويقين، وقلما يقال: شكٌّ وعلمٌ، فاليقين ما يزيل الشك دون غيره من أضداد العلوم، والشاهد قول الشاعر:

بَكَى صَاحِبي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

أي أزال الشك عنه عند ذلك، ويقال: إذا كان اليقين عند المصلي أنه صلى أربعًا فله أن يسلم، وليس يُراد بذلك أنه إذا كان عالمًا به لأن العلم لا يُضَاف إلى ما عند أحد إذا كان المعلوم في نفسه على ما علم وإنما يُضَاف اعتقاد الإنسان إلى ما عنده سواء كان معتقده على ما اعتقده أولًا إذا زال به شكُّه، وسمِّي علما يقينًا لأن في وجوده ارتفاع الشك.

«الفرق» بين العلم والشعور أن العلم هو ما ذكرناه، والشعور علم يوصل إليه من وجْهٍ دقيق كدقَّية الشعر، ولهذا قيل للشاعر «شاعر» لفِطنته لدقيق المعاني، وقيل للشَّعِير شعيرًا للشَّظْية الدقيقة التي في طرفه خلاف الحِنْطة، ولا يقال: الله تعالى يَشْعُر؛ لأن الأشياء لا تدق عنه، وقال بعضهم: الذمُّ للإنسان بأنه لا يشعر أشد مبالغة من ذمِّه بأنه لا يعلم لأنه إذا قال: لا يشعر فكأنه أخرجه إلى معنى الحمار وكأنه قال: لا يعلم من وجه واضح ولا خَفيٍّ وهو كقولك لا يحسُّ، وهذا قول من يقول: إن الشعور هو أن يدرك بالمشاعر وهي الحواسُّ كما أن الإحساس هو الإدْراك بالحاسَّة، ولهذا لا يوصف الله بذلك.

«الفرق» بين البَصِير والمُسْتَبْصر أن البصير على وجهين، أحدهما المختص بأنه يدرك المبصر إذا وجد، وأصله البصر وهو صحَّة الرؤية، ويُؤْخذ منه صفة مبصر بمعنى رأى، والرأي هو المدرك للمرئي والقديم رأى بنفسه، والآخر البصير بمعنى العالم، تقول منه هو بصير وله به بصر وبصيرة أي علم، والمُسْتَبْصِرُ هو العالم بالشيء بعد تطلب العلم كأنه طلب لإبصار مثل المُسْتفهم والمُسْتخبر المتطلب للفهم والخبر، ولهذا يُقَال: إن الله بصير، ولا يقال مُسْتَبْصر، ويجوز أن يقال: إن الاسْتِبْصَار هو أن يتَّضِح له الأمر حتى كأنه يبصره ولا يُوصف الله تعالى به لأن الاتِّضَاح لا يكون إلا بعد الخَفَاء.

(١) ثَلِج صَدْرُه: أي رَضِي واطمأنَّ، وثَلِج قلبُهُ: اطمأنَّ ليقينه، فهو ثَلِجٌ.

وَمِمَّا يَجْرِي مَعَ هَذَا

«الفرق» بين البصر والعين، أن العين آلة البصر وهي الحدقة، والبصر اسم للرؤية، ولهذا يقال إحدى عينيه عَمْيَاء، ولا يقال أحد بَصريه أعمى، وربَّما يجري البصر على العين الصحيحة مجازًا، ولا يجري على العين العمياء فيدلُّك هذا على أنه اسم للرؤية على ما ذكرنا، ويُسمَّى العلم بالشيء إذا كان جليًّا بصرًا، يقال لك فيه بصر يراد أنك تعلمه كما يراه غيرك.

«الفرق» بين التعليم والتَّلْقين أن التلقين يكون في الكلام فقط، والتعليم يكون في الكلام وغيره تقول: لَقَّنه الشِّعْر وغيره، ولا يقال لَقَّنَه التجارة والنِّجارة والخياطَة كما يقال علَّمه في جميع ذلك، وأخرى فإن التعليم يكون في المرة الواحدة، والتلقين لا يكون إلَّا في المرات، وأخرى فإن التلقين هو مشافهتك الغير التعليم وإلقاء القول إليه ليأخذه عنك ووضع الحروف مواضعها، والتعليم لا يقتضي ذلك، ولهذا لا يقال: إن الله يلقِّن العبد كما يقال: إنَّ الله يعلمه.

«الفرق» بين العِلْم والرَّسْخ[1] أن الرَّسْخَ هو أن يعلم الشيء بدلائل كثيرة أو بضرورة لا يمكن إزالتها، وأصله الثبات على أصل يتعلق به، وسنبيِّن ذلك في آخر الكتاب إن شاء الله، وإذا علم الشيء بدليل لم يقل إن ذلك رسخ.

«الفرق» بين المعرفة الضرورية، والإلهام أن الإلهام ما يبدو في القلب من المعارف بطريق الخير ليفعل وبطريق الشر ليترك، والمعارف الضرورية على أربعة أوجُه أحدها يحدث عند المشاهدة، والثاني عند التجربة، والثالث عند الأخبار المتواترة والرابع أوائل العقل.

«الفرق» بين العَالِم والمُتحقِّق، أن المتحقِّق هو المتطلِّب حق المعنى، حتى يدركه كقولك: تَعلَّم، أي اطلب العلم، ولهذا لا يقال: إن الله متحقِّق، وقيل: التحقُّق لا يكون إلا بعد شكٍّ تقول: تحققتُ ما قلته فيفيد ذلك أنك عرفته بعد شكٍّ فيه.

«الفرق» بين العلم والعقل، أن العقل هو العلم الأول الذي يُزْجر عن القبائح وكل من كان زاجره أقْوَى كان أعْقَل، وقال بعضهم: العقل يمنع صاحبه عن الوقوع في القبيح، وهو من قولك: عَقَل البعيرَ، إذا شدَّه فمنعه من أن يثور، ولهذا لا يوصف الله تعالى به، وقال بعضهم: العقل: الحفظ، يقال: أعقلت دراهمي أي حفظتها، وأنشد قول لبيد:

وأَعْـقِـلِـي إن كـنـتِ لـمـا تَـعْـقِـلِـي ... وَلَـقَـدْ أَفْـلَـحَ مَـنْ كَـانَ عَـقِـلَ

(١) رسَخَ العلمُ في قلبه: أي تمكَّن فيه ولم تعرض له فيه شُبْهة، ويقال: هو من الراسخين في العلم، وله فيه قدم راسخة.

قال: ومن هذا الوجه يجوز أن يُقال: إن الله عاقلٌ كما يقال: حافظ، إلَّا أنه لم يُستعمل فيه ذلك، وقيل: العقل يُفيد معنى الحصْر والحبْس، وعقل الصبي: إذا وَجَد له من المعارف ما يُفارق به حدودَ الصِّبيان وسُمِّيت المعارف التي تحصر معلوماته عقلًا؛ لأنها أوائل العلوم ألاَ تَرَى أنه يقال للمخاطب: اعْقَل ما يقال لك؟ أي أحصر معرفته لئلَّا يذهب عنك، وخلاف العقل الحُمْق، وخلاف العلم الجَهْل، وقيل لعاقلة الرجل: عاقلة؛ لأنهم يحبسون عليه حياته، والعِقال ما يحبس النَّاقة عن الانْبِعَاث، قال: وهذا أحبُّ إليّ في حدِّ العقل من قولهم هو علم بقبح القبائح والمنع من ركوبها، لأن في أهل الجنة عُقلا[1] لا يشتهون القباح وليست علومهم مَنْعًا، ولو كان العقل مَنْعًا لكان الله تعالى عَاقِلًا لذاته، وكُنَّا معقولين، لأنه الذي منعنا، وقد يكون الإنسان عاقلًا كاملًا مع ارتكابه القبائح، ولَمَّا لم يجز أن يوصف الله بأن له علومًا حصرت معلوماته، لم يجز أن يُسمَّى عاقلًا، وذلك أنه عالم لذاته بما لا نهاية له من المعلومات، ولهذه العلة لم يجز أن يقال إن الله معقول لنا؛ لأنه لا يكون محصورًا بعلومنا كما لا تحيط به علومنا.

«الفرق» بين العَقْل والأَرَب[2] أن قولنا الأَرْب يفيد وفور العقل من قولهم عَظْمٌ مُؤْرَب، إذا كان عليه لحم كثير وافر، وقَدَحٌ أَرِيب وهو المعَلَّى، وذلك أنه يأخذ النصيب المؤرب أي الوافر.

«الفرق» بين العَقْل واللُّب أن قولنا اللُّب يفيد أنه من خالص صفات الموصوف به، والعقل يفيد أنه يحصر معلمات الموصوف به، فهو مفارق له من هذا الوجه، ولُبَاب الشيء ولُبُّه: خالصه، ولما لم يجز أن يوصف الله تعالى بمعانٍ بعضها أخلص من بعض لم يجز أن يوصف باللُّبِّ.

«الفرق» بين العَقْل والنَّهي[3] أن النُّهَى هو النهاية في المعارف التي لا يحتاج إليها في مفارقة الأطفال ومن يجري مجراهم، وهي جمع واحدها النُّهْية، ويجوز أن يقال إنها تفيد أن الموصوف بها يصلح أن ينتهي إلى رأيه، وسُمِّي الغدير نُهْيًا لأن السيل ينتهي إليه، والتنهة المكان الذي ينتهي إليه السيل والجمع التناهي وجمع النهي: أنهة وأَنْهاء.

«الفرق» بين العقل والحِجَا[4] أن الحِجَا، هو ثبات العقل من قولهم تحجَّى بالمكان إذا قام به.

---

(١) عُقلا: بالمد، أي عقلاء.

(٢) الأَرْب، والإِرْبُ: أي العقْل، والدَّهاء، والفِطْنة والبصر بالأمور.

(٣) النُّهَى: جمع نهية، وهي غاية الشيء وآخره- والعقل. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

(٤) الحِجَا: السِّتْر- والعقل، والجمع أحْجاء.

«الفرق» بين العَقْل والذِّهْن أن الذهن هو نقيض سوء الفهم، وهو عبارة عن وجود الحفظ لما يتعلَّمه الإنسان ولا يُوصف الله به، لأنه لا يوصف بالتعلُّم.

«الفرق» بين العِلْم والفِطْنة أن الفطنة هي التنبُّه على المعنى، وضِدُّها الغفلة ورجل مغفل لا فطنة له، وهي الفُطنة والفطانة، والطَّبانة[1] مثلها ورجل طَبِن فطن، ويجوز أن يقال: إن الفطنة ابتداء المعرفة من وجه غامض، فكل فطنة علم وليس كل علم فطنة، ولما كانت الفطنة علمًا بالشيء من وجه غامض، لم يجز أن يقال: الإنسان فطن بوجود نفسه وبأن السماء فوقه.

«الفرق» بين الفِطْنة والذكاء أنَّ الذكاء تمام الفطنة من قولك: ذكَتِ النارُ إذا تمَّ اشتعالها، وسُمِّيت الشمسُ ذكاءً لتمام نورها، والتَّذْكية تمام الذبح، ففي الذكاء معنى زائد على الفطنة.

«الفرق» بين الفِطْنة والحذَق والكَيْس، أن الكَيْسَ هو سرعة الحركة في الأمور والأخذ فيما يعني منها دون ما لا يعني، يقال: غلام كَيْسٌ[2] إذا كان يسرع الأخذ فيما يؤمر به ويترك الفضول وليس هو من قبيل العلوم، والحذق أصله حِدَّة القَطْع، يقال حَذَقَهُ إذا قَطَعَهُ، وقولهم حَذَقَ الصبيُّ القرآنَ معناه أنه بلَغ آخرَه وقطع تعلُّمَه، وتناهى في حِفْظه، وكل حاذِقٍ بصناعة فهو الذي تناهَى فيها وقطعَ تعلُّمَها فلما كان الله تعالى لا تُوصف معلوماته بالانقطاع لم يجزْ أن يُوصف بالحذْقِ.

ومِمَّا يجري مَعَ هَذَا

«الفرق» بين الأَلْمَعِيِّ واللَّوْذَعِي، أن اللوذعي هو الخفيف الظريف مأخوذ من لذع النار وهو سرعة أخذها في الشيء، والأَلْمَعِيُّ هو الفَطِن الذكي الذي يتتبع عواقب الأمور بأدنى لمحة تلوح له.

«الفرق» بين الفِطْنة والنَّفَاذ أن النَّفَاذ أصله في الذهاب، يقال: نفذَ السهمُ إذا ذهب في الرمْيَة، ويسمى الإنسان نافذًا إذا كان فكره يبلغ حيث لا يبلغ فكر البليد، ففي النفاذ معنى زائد على الفِطْنة، ولا يكاد الرجل يسمَّى نافذا إلا إذا كثرتْ فطنتُه للأشياء، ويكون خَرَّاجًا ولَّاجًا[3] في الأمور، وليس هو من الكَيْس أيضًا في شيء لأن الكيس هو سرعة الحركة فيما

(١) الطَّبانة، طَبِنَ الشيء، أي فَطِن له، وطبن فلانًا: أي خَدَعَهُ فهو طَبِنٌ.
(٢) كَيْسٌ: كَاسَ كياسةً: عقلَ، وفطِنَ، فهو كَيْسٌ، وكَيِّسٌ، والجمع أكْياسٌ، وكيسَةٌ.
(٣) خرَّاجًا ولَّاجًا، مبالغة في الخروج والدخول، أي كثير الدخول والخروج والتمرُّس في الأمور.

يعني دون ما لا يعنى، ويوصف به الناقص الآلة، مثل الصبي، ولا يوصف بالنفاذ إلا الكامل الراجح وهذا معروفٌ.

«والفرق» بين ذلك وبين الجَلَادة، أن أصل الجَلادة صلابةُ البدن، ولهذا سُمِّي الجِلْد جلْدًا، لأنه أصلب من اللحم، وقيل الجليد لصلابته، وقيل للرجل الصلب على الحوادث جَلْدٌ وجَلِيد من ذلك، وقد جَالَدَ قِرْنَه، وهما يجالدان إذا اشتد أحدهما على صاحبه، ويقال للأرض الصلبة: الجلَد بتحريك اللام.

ومِمَّا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ ولَيْسَ مِنْهُ

«الفرق» بين القَرِيحة والطَّبيعة، أن الطبيعة ما طُبِعَ عليه الإنسان، أي خُلِقَ، والقريحة فيما قال المبرد: ما خرج من الطبيعة من غير تكلُّف، ومنه فلان جَيِّد القريحة، ويقال للرجل: اقترح ما شِئْتَ، أي اطلُبْ ما في نفسك، وأصلُ الكلمة الخلوص، ومنه ماء قَرَاحٌ إذا لم يخالطه شيء، ويقال للأرض التي لا تنبت شيئًا قَرْوَاح إذا لم يخالطها شيءٌ من ذلك، والنخلة إذا تجرَّدت وخلصت جلدتها قَرْوَاح وذلك إذا نمتْ وتجاوزت وأتى عليها الدهر، والفرس القَارِح يرجع إلى هذا، لأنه قد تَمَّ سِنُّه، قال: وأما القَرْحُ والقُرْحَة فليس من ذلك وإنما القَرْحُ ثلم في الجلد والقرحة مشبهة بذلك.

«الفرق» بين عَلَّام وعَلَامة، أن الصفة بعلَّام صفة مبالغة، وكذلك كل ما كان على فعَّال، وعَلَّامة، وإن كان للمبالغة فإن معناه ومعنى دخول الهاء فيه أنه يقوم مقام جماعة علماء، فدخلت الهاء فيه لتأنيث الجماعة التي هي في معناه، ولهذا يقال: الله عَلَّامٌ، ولا يقال: له عَلَّامة كما يقال: إنه يقوم مقام جماعة علماء، فأما قول من قال: إن الهاء دخلت في ذلك على معنى الدَّاهية، فإن ابن درستويه ردَّه واحتجَّ فيه بأن الداهية لم توضع للمَدْح خاصَّة، ولكن يقال في الذم والمدح وفي المكروه والمحبوب، قال وفي القرآن ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦]، وقال الشاعر:

لِكُلِّ أَخِي عَيْشٍ وَإِنْ طَالَ عُمْرُهُ ... دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأَنَامِلُ[1]

يعني الموت، ولو كانت الداهية صفة مدح خاصة لكان ما قاله مستقيمًا، وكذلك قوله

(١) دُويهية، تصغير داهية، وهي الأمر المبكر العظيم، والجمع دواة، ودواهي الدهر: ما يصيب الإنسان من عظم نُوَبه. والأنامل: جمع أُنْمُلة، وهي عقدة الإصبع. قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران:١١٩].

«لحَّانَة» شبَّهوه بالبهيمة غلط لأن البهيمة لا تلْحنُ وإنما يلحن من يتكلَّم، والداهية اسم من أسماء الفاعلين الجارية على الفعل، يقال دَهَى يَدْهى، فهو دَاهٍ، وللأنثى داهية ثم يلحقها التأنيث على ما يراد به للمبالغة فيستوي فيه الذكر والأنثى، مثل الراوية ويجوز أن يقال: إن الرجل سُمِّي داهية كأنه يقوم مقام جماعة دُهَاة، ورواية كأنه يقوم مقام جماعة رُوَاة على ما ذكر قبل، وهو قول المبرِّد.

«الفرق» بين الفَهْم والعِلْم أن الفهم هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصَّة ولهذا يقال: فلان سيئ الفهم إذا كان بطيء العلم بمعنى ما يسمع، ولذلك كان الأعْجَمي لا يفهم كلام العربي، ولا يجوز أن يُوصف الله بالفَهْم، لأنه عالم بكل شيء على ما هو به فيما لم يزلْ، وقال بعضهم: لا يُسْتَعْمل الفهم إلَّا في الكلام، ألَا ترى أنك تقول فهمتُ كلامَه ولا تقولُ: فَهمتُ ذَهَابه ومجيئه؟ كما تقول علمتُ ذلك. وقال أبو أحمد بن أبي سلَمة- رحمه الله: الفهمُ يكون في الكلام وغيره من البيان كالإشارة، ألا ترى أنك تقول: «فهمتُ ما قلتَ وفهمتُ ما أشرتَ به إليَّ». قال الشيخ أبو هلال - رحمه الله: الأصل هو الذي تقدَّم وإنما استُعْمِل الفهم في الإشارة؛ لأن الإشارة تجري مجرى الكلام في الدلالة على المعنى.

«الفرق» بين العِلْم والفِقْه أن الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمُّله، ولهذا لا يقال: إن الله يَفْقَه، لأنه لا يوصف بالتأمُّل، وتقول لمن تخاطبه: تَفَقَّه ما أقوله، أي تأمَّلْه لتعرِفه، ولا يُسْتَعمل إلَّا على معنى الكلام، قال: ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[الكهف:٩٣] وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤] فإنه لمَّا أتى بلفظ التسبيح الذي هو قول ذكر الفقه كما قال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن:٣١] عقب قوله: ﴿يَسْئَلُهُۥ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩] قال الشيخ أبو هلال - رحمه الله: وسُمِّي علم الشرع فقهيات لأنه مبنيٌّ عن معرفة كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ.

«الفرق» بين العالم والعليم أن قولنا عالم دالٌّ على معلوم، لأنه من علمت وهو متعدٍّ، وليس قولنا عليم جاريًا على علمية، فهو لا يتعدَّى وإنما يفيد أنه إن صحَّ معلوم علمه، كما أن صفة سميع تفيد أنه إن صح مسموع سمعه، والسامع يقتضي مسموعًا، وإنما يُسمَّى الإنسان وغيره سميعًا إذا لم يكن أصمَّ وبصيرًا إذا لم يكن أعمى، ولا يقتضي ذلك مبصرًا ومسموعا، ألا ترى أنه يُسمَّى بصيرًا وإن كان مُغمضًا، وسميعًا وإن لم يكن بِحَضْرته صوت يسمعه؟ فالسميع والسامع صفتان، وكذلك المبصر والبصير، والعليم والعالم، والقدير والقادر؛ لأن كل واحد

منهما يفيد ما لا يفيده الآخر، فإن جاء السميع والعليم وما يجرى مجراهما متعديًا في بعض الشعر، فإن ذلك قد جُعِل بمعنى السامع والعالم، وقد جاء السميع أيضًا بمعنى مسمع في قوله:

أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ

«الفرق» بين الصفة بسامع والصفة بعالم، أنه يصح عالم بالمسموع بعد نقضه ولا يصح سامع له بعد تفصه.

ومِمّا يجري مَعَ ذَلِكَ وَلَيْسَ مِنَ الْبَابِ

«الفرق» بين السَّمْع والإِصْغَاء، أن السمع هو إدراك المسموع، والسمع أيضًا اسم الآلة التي يُسْمع بها، والإصْغاء هو طلب إدراك المسموع بإمالة السَّمْع إليه، يقال: صَغَا يَصْغُو إذا مال وأصْغَى غيره وفي القرآن ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[التحريم:٤]. أي مالت، وصَغْوك مع فلان أي مَيْلُكَ.

«الفرق» بين السمع والاستماع، أن الاستماع هو استفادة المسموع بالإصغاء إليه ليفهم، ولهذا لا يقال: إن الله يستمع، وإنما السماع فيكون اسمًا للمسموع، يقال لما سمعته من الحديث هو سَمَاعِيٌّ ويقال للغناء: سَمَّاعٍ، ويكون بمعنى السمع، تقول سَمِعتُ سَماعًا، كما تقول سَمِعتُ سَمعًا، والتَّسَمُّع طلب السمع مثل التعلُّم طلب العلم.

«الفرق» بين العِلم والإدْرَاك، أن الإدراك مُوقوفٌ على أشياء مخصوصة، وليس العلم كذلك، والإدراك يتناول الشيء على أخصّ أوصافه وعلى الجملة، والعلم يقع بالمعدوم ولا يدرك إلا الموجود، والإدراك طريق من طرق العلم، ولهذا لم يجز أن يقوى العلم بغير المدرك قوته بالمدرك، ألَا ترى أن الإنسان لا ينسى ما يراه في الحال كما ينسى ما رآه قبل؟

«الفرق» بين قولنا يدرك وبين قولنا يحسُّ أن الصفة يحس مضمنة بالحاسة، والصفة تدرك مطلقة، والحاسَّة اسم لما يقع به إدراك شيء مخصوص، ولذلك قلنا: الحواس أربع: السمع والبصر والذَّوْق والشم، وإدراك الحرارة والبرودة لا تختص بآلة، والله تعالى لم يزل مدركًا بمعنى أنه لم يزل عالمًا، وهو مدرك للطعم والرائحة، لأنه مبيِّن لذلك من وجْهٍ يصحُّ أن تبيّن منه لنفسه، ولا يصح أن يقال: إنه يشمُّ ويذوق، لأن الشم ملابسة المشموم للأنف، والذوق ملابسة المذوق للفم، ودليل ذلك قولك: شَمَمْتُه فلم أجدْ له رائحة وذُقْتهُ فلم أجدْ له طعمًا، ولا يقال: إن الله يحس بمعنى أنه يرى ويسمع، إذْ قولنا يحسُّ يقتضي حاسَّةً.

«الفرق» بين الإدراك والإحساس على ما قال أبو أحمد أنه يجوز أن يدرك الإنسان الشيء وإن لم يحس به، كالشيء يدركه ببصره ويغفل عنه فلا يعرفه فيقال: إنه لم يحس به، ويقال: إنه ليس يحس إذا كان بليدًا لا يفطن، وقال أهل اللغة: كل ما شعرتَ به فقد أحسستهُ، ومعناه أدركتَه بحسِّك، وفي القرآن ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ ﴾[الأنبياء:١٢]، وفيه: ﴿ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾[يوسف:٨٧]، أي تعرفوا بإحساسكم، وقال بعضهم:

«الفرق» بين العلم والحِسّ أن الحِسَّ هو أول العلم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾[آل عمران:٥٢]، أي عَلِمه في أول وَهْلةٍ، وهذا لا يجوز أن يقال: إن الإنسان يحسُّ بوجود نفسه، قُلنا: وتسمية العلم حسًّا وإحْسَاسًا مجاز، ويُسَمّى بذلك لأنه يقع مع الإحساس، والإحساس من قبيل الإدراك، والآلات التي يدرك بها حواس كالعين والأذن والأنف والفم، والقلب ليس من الحواس، لأن العلم الذي يختص به ليس بإدراك وإذا لم يكن العلم إدراكًا لم يكن محله حاسة، وسُمِّيت الحاسة حاسة على النسب لا على الفعل، لأنه لا يقال منه حسستُ، وإنما يقال أحسستهم إذا أبدتهم قتلًا مُستأصلًا، وحقيقته أنك تأتي على إحساسهم فلا تبقى لهم حسًّا.

«الفرق» بين الإدراك والوجْدَان، أن الوجْدَان في أصل اللغة لما ضاع، أو لما يجري مجرى الضائع في أن لا يعرف موضعه، وهو على خلاف النشدان فأخرج على مثاله، يقال: نشدتُ الضَّالَّةَ إذا طلبتها نشْدَانًا، فإذا وجدتها قلت وجدتُها وجْدَانًا، فلما صار مصدره موافقًا لبناء النشْدَان استدلَّ على أن وجدت ههنا إنما هو للضالَّة، والإدراك قد يكون لما يسبقك، ألا ترى أنك تقول وجدتُ الضالَّة ولا تقول أدركتُ الضَّالَّة؟ وإنما يقال: أدركتُ الرجلَ إذا سبقك ثم اتَّبعته فلحقتهُ، وأصل الإدراك في اللغة بلوغ الشيء وتمامه، ومنه إدراك الثمرة وإدراك الغلام، وإدراكك مَنْ تطلب يرجع إلى هذا، لأنه مبلغ مرادك، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[الشعراء:٦١]، والدرك الحبل يقرن بحبل آخر ليبلغ ما يحتاج إلى بلوغه، والدرك: المنزلة لأنها مبلغ من تجعل له، ثم تُوسِّع في الإدراك والوجدان فأُجْرِيا مجرى واحدًا، فقيل: أدركتهُ ببصري ووجدتُهُ ببصري ووجدت حَجْمَه بيدي، وأدركتُ حجمه بيدي، ووجدته بسَمْعي، وأدركتهُ بسَمْعي وأدركتُ طَعْمه بفَمِي ووجدتُ طَعْمه بفَمي، وأدركتُ ريحه بأنْفي، ووجدتُ ريحه بأنْفي، وحَدَّ المتكلِّمون الإدراك، فقالوا: هو ما يتجلَّى به المدرك تجلِّي الظهور ثم قيل: يجد بمعنى يعلم، ومصدره الوجود وذلك معروف في العربية ومنه قول الشاعر:

وجـــدتُ اللهَ أكْـــبَرَ كُـــلِّ شَيْءٍ ... محـــاوَلَـــةً وأكـــثـــرهُـــمْ جُـــنُـــودَا

أي علمتُه كذلك، إلا أنه لا يقال للمعدوم موجود بمعنى أنه معلوم، وذلك أنك لا تسمِّى واجدًا لما غاب عنك، فإنْ علمته في الجملة فذلك في المعدوم أبْعَدُ، وقال الله تعالى: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠] أي يعلمه كذلك، وقيل يجدونه حاضرًا فالموجود هو العلم بالموجود، وسُمِّي العالم بوجود الشيء واجِدًا له لا غير وهذا مما جرى على الشيء اسم ما قاربه، وكان من سببه، ومن ههنا يفرق بين الوجود والعلم.

«الفرق» بين العِلْم والبصيرة أن البصيرة هي تكامُل العلم والمعرفة بالشيء، ولهذا لا يجُوز أن يسمَّى الباري تعالى بصيرة، إذ لا يتكامل علم أحد بعظمته وسلطانه.

«الفرق» بين العِلْم والدِّرَاية، أن الدراية فيما قال أبو بكر الزبيري بمعنى الفهم، قال: وهو لنفي السهو عما يرد على الإنسان فيدريه أي يفهمه، وحكى عن بعض أهل العربية أنها مأخوذة من دريتُ إذا اخْتَلْتُ، وأنشد:

* يُصيبُ فَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي فَمَا دَرَى *

أي مَا اختلَّ فيه يفوته وما طلبه من الصيد بغير خَتل يناله، فإن كانت مأخوذة من ذاك فهو يجري مجرى ما يفطن الإنسان له من المعرفة التي تنال غيره فصار ذلك كالخَتل منه للأشياء، وهذا لا يجوز على الله سبحانه وتعالى، وجعل أبو علي - رحمه الله - الدِّرَاية مثل العلم وأجازها على الله واحتجَّ بقول الشاعر:

* لَا هُمَّ لَا أَدْرِي وَأَنْتَ الدَّارِي *[1]

وهذا صحيح لأن الإنسان إذا سُئِل عما لا يدري فقال: لا أدري فقد أفاد هذا القول منه معنى قوله لا أعلم، لأنه لا يستقيم أن يُسْأل عما لا يعلم فيقول: لَا أفهم، لأن معنى قوله: لا أفهم، أي لا أفهم سؤالك، وقوله لا أدري، إنما هو لا أعلم ما جواب مسألتك، وعلى هذا يكون العلم والدِّرَاية سواءً، لأن الدِّراية علم يشتمل على المعلوم من جميع وجوهه، وذلك أن الفِعَالة للاشتمال، مثل العِصَابة، والعِمامة، والقِلَادة، ولذلك جاء أكثر أسماء الصناعات على فِعَالة نَحو: القِصَارة[2] والخِياطة، ومثل ذلك العِبَارة لاشتمالها على ما فيها، فالدِّراية تفيد ما لا يفيده العلم من هذا الوجه، والفِعالة أيضًا تكون للاستيلاء، مثل الخِلَافة، والإمارة فيجوز أن تكون بمعنى الاستِيلاء فتفارق العلم من هذه الجهة.

(١) لاَهُمَّ: أي اللَّهُمَّ.

(٢) القِصَارة: حرفة القصار، وهو المبيِّض للثياب، وكان يهيِّئ النسيج بعد نَسْجه ببلِّه ودقِّه بالقَصرَة، والقَصرَة: قطعة من الخشب.

«الفرق» بين العلم والاعتقاد، أن الاعتقاد هو اسم لجنس الفعل على أي وجه وقع اعتقاده، والأصل فيه أنه مشبه بعقد الحبل والخيط فالعالم بالشيء على ما هو به كالعاقد المحكم لما عقده، ومثل ذلك تسميتهم العلم بالشيء حِفْظًا له ولا يوجب ذلك أن يكون كل عالم معتقدًا، لأن اسم الاعتقاد أُجْرِيَ على العلم مَجازًا، وحقيقة العالم هو: من يصحُّ منه فعل ما علمه متيقنًا إذا كان قادرًا عليه.

«الفرق» بين العِلْم والحِفْظ أن الحفظ، هو العلم بالمسموعات دون غيره من المعلومات، ألَا ترى أن أحَدًا لا يقول حَفظتُ أنَّ زيدًا في البيت؟ وإنَّما استُعْمل ذلك في الكلام ولا يقال للعلم بالمشاهدات حفظ، ويجوز أن يقال: إن الحفظ هو العلم بالشيء حالًا بعد حال من غير أن يخلّله جهل أو نسيان، ولهذا سُمِّي حُفَّاظ القرآن حُفَّاظًا، ولا يوصف الله بالحفظ لذلك.

«الفرق» بين العلم والذِّكْر أن الذِّكْر وإنْ كان ضَرْبًا من العلم فإنه لا يُسمَّى ذِكْرًا إلا إذا وقع بعد النسيان، وأكثر ما يكون في العلوم الضرورية ولا يوصف الله به، لأنه لا يوصف بالنسيان، وقال علي بن عيسى: الذكر يضاد السهو، والعلم يضاد الجهل، وقد يجمع الذكر للشيء والجهل به من وجْهٍ واحد.

وأما «الفرق» بين الذِّكْر والخاطر، فإن الخاطر مرور المعنى على القلب، والذكر حضور المعنى في النفس.

«الفرق» بين التذكير والتَّنْبيه أن قولك ذكر الشيء يقتضي أنه كان عالمًا به ثم نسيه فردَّه إلى ذكره ببعض الأسباب، وذلك أن الذكْر هو العلم الحادث بعد النسيان على ما ذكرنا، ويجوزُ أن ينبّه الرجل على الشيء لم يعرفه قط ألَا ترى أن الله ينبه على معرفته بالزلازل والصَّواعق وفهم من لم يعرفه ألبته فيكون ذلك تَنْبيهًا له كما يكون تنبيهًا لغيره؟ ولا يجوز أن يذكره ما لم يعلمه قط.

«الفرق» بين العِلْم والخبر، أن الخبر هو العلم بكُنْه المعلومات على حقائقها، ففيه معنى زائد على العلم، قال أبو أحمد بن أبي سلمة رحمه الله: لا يقال منه خَابِر، لأنه من باب فعلتُ مثل طرقتُ وكرمتُ، وهذا غلط لأن فعلت لا يتعدَّى، وهذه الكلمة تتعدَّى به، وإنما هو من قولك: خبرت الشيء إذا عرفت حقيقة خبره، وأنا خابر وخبير، من قولك خبرتُ الشيء إذا عرفتُ حقيقة خَبرِه، وأنا خابرٌ وخبيرٌ من قولك: خبرتُ الشيء إذا عرفته مبالغة، مثل عليم وقدير، ثم كثُرَ حتى استعمل في معرفة كُنْهه وحقيقته، قال كعب الأشقري:

وَمَا جَاءَنا مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ خَابِرٌ ... وَلَا جَاهِلٌ إِلَّا يَذُمُّكَ يا عَمْرُو

«الفرق» بين قولنا يُحْسِن وبين قولنا يَعْلَم، أن قولنا: فلان يُحْسِنُ كذا بمعنى يَعلمه مجازًا،

وأصله فيما يأتي الفعل الحسَن، ألَا ترى أنه لا يجيء له مصدر إذا كان بمعنى العِلْم ألبتَّة؟ فقولنا فلانٌ يُحسنُ الكتابةَ معناه أنه يأتي بها حَسنةً من غير توقُّف واحتباس، ثم كثر ذلك حتى صار كأنه العلم وليس به.

«الفرق» بين العِلْم والرُّؤية، أن الرؤية لا تكون إلا لموجود، والعلم يتناول الموجود والمعدوم، وكل رؤية لم يعرض معها آفة، فالمرئي بها معلوم ضرورة، وكل رؤية فهي لمحدود أو قائم في محدود، كما أن كل إحْسَاس من طريق اللَّمْس فإنه يقتضي أن يكون لمحدود أو قائم في محدود. والرؤية في اللغة على ثلاثة أوجُهٍ، أحدها العلم وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ [المعارج:٦]، أي نعلمه يوم القيامة وذلك أن كل آتٍ قريب، والآخر بمعنى الظن وهو قوله تعالى: ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[المعارج:٧] أي يظنُّونه، ولا يكون ذلك بمعنى العلم، لأنه لا يجوز أن يكونوا عالمين بأنها بعيدة وهي قريبة في علم الله، واستعمال الرؤية في هذين الوجهين مجاز، والثالث رؤية العين وهي حقيقة.

«الفرق» بين العالم بالشيء والمُحيط به، أن أصل المحيط المطيف بالشيء من حوله بما هو كالسُّور الدائر عليه يمنع أن يخرج عنه ما هو منه ويدخل فيه ما ليس فيه، ويكون من قبيل العلم وقبيل القدرة مجازًا، فقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾[النساء:١٢٦]، يصلح أن يكون معناه أن كل شيء في مَقدوره فهو بمنزلة ما قبضَ القابضُ عليه في إمكان تصريفه، ويصلح أن يكون معناه أنه يعلم بالأشياء من جميع وجوهها، وقال: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق:١٢]، أي علمه من جميع وجوهه، وقوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ [الجن: ٢٨]، يجوز في العلم والقدرة، وقال: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾[الفتح:٢١]، أي قد أحاط بها لكم بتمليككُمْ إيَّاه وقال: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ١٩] أي لا يفوتونه، وهو تخويف شديد بالغلبة، فالمعلوم الذي علم من كل وجه بمنزلة ما قد أحيط به بضرب سُور حَوْله، وكذلك المقدور عليه من كل وَجهٍ، فإذا أطلق اللفظ، فالأوْلى أن يكون من جهة المقدور، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:١٩]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾[النساء:١٢٦]، ويجوز أن يكون من الجهتين فإذا قيد بالعلم فهو من جهة المعلوم لا غير، ويقال للعالم بالشيء عالم، وإن عرف من جهة واحدة فالفرق بينهما بيِّن، وقد احتطتُ في الأمر، إذا أحكمته كأنك منعت الخلل أن يدخله، وإذا أحيط بالشيء علمًا فقد علم من كل وجه يصح أن يعلم منه، وإذا لم يعلم الشيء مشاهدة لم يكن علمه إحاطة.

«الفرق» بين قولنا الله أعلم بذاته ولذاته أن قولنا: هو عالم بذاته يحتمل أن يراد أنه يعلم

ذاته، كما إذا قلنا إنه عالم بذاته لما فيه من الإشكال، ونقول: هو عالم لذاته؛ لأنه لا إشْكَال فيه ويقال: هو إله بذاته، ولا يقال: هو إله لذاته احترازًا من الإشْكال، لأنه يحتمل أن يكون قولنا: إله لذاته أنه إله ذاته كما يقال: إنه إله لخَلْقه أي إله خَلْقه، ويجوز أن يقال: قادر لذاته وبذاته، لأن ذلك لا يَشْكُل، لكون القادر لا يتعدَّى بالباء واللام وإنَّما يتعدّى بعلَى.

«الفرق» بين العلم والتَّبيين أن العلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة كان ذلك بعد لَبْسٍ أولًا، والتَّبيين علم يقع بالشيء بعد لَبْس فقط ولهذا لا يقال: تَبَيَّنْتُ أن السماء فوقي، كما تقول علمتُها فَوْقي ولا يقال لله متبيِّن لذلك.

«الفرق» بين المعروف والمشهور، أن المشهور هو المعروف عند الجماعة الكثيرة، والمعروف معروف وإن عرفه واحدٌ، يقال: هذا معروف عند زيد ولا يقال مشهور عند زيد ولكن مشهور عند القوم.

«الفرق» بين العلم والشهادة، أن الشهادة أخص من العلم، وذلك أنها علم بوجود الأشياء لا من قبل غيرها، والشاهد نقيض الغائب في المعنى ولهذا سُمِّي ما يدرك بالحواس ويعلم ضرورة شاهدًا وسُمِّي ما يعلم بشيء غيره وهو الدلالة غائبًا كالحياة والقدرة، وسُمِّي القديم شاهِدًا لكل نَجْوَى، لأنه يعلم جميع الموجودات بذاته فالشهادة علم يتناول الموجود، والعلم يتناول الموجود والمعلوم.

«الفرق» بين الشاهد والمشاهد أن المشاهد للشيء هو المدرك له رؤية، وقال بعضهم: رؤية وسمعًا وهو في الرؤية أشهر، ولا يقال: إن الله لم يزل مشاهدًا لأن ذلك يقتضي إدْراكًا بحاسة، والشاهد لا يقتضي ذلك.

«الفرق» بين الشَّاهد والحاضر أن الشاهد للشيء يقتضي أنه عالمٌ به، ولهذا قيل: الشهادة على الحقوق لأنها لا تصحُّ إلَّا مع العلم بها، وذلك أن أصل الشهادة الرؤية، و«قد شاهدتُ الشيء» رأيتُه، والشَّهْدُ: العسل على ما شُوهِدَ في موضعه، وقال بعضهم: الشهادة في الأصل إدراك الشيء من جهة سمع أو رؤية، فالشهادة تقتضي العلم بالمشهود على ما بيَّنا، والحضور لا يقتضي العلم بالمحضور، ألا ترى أنه يقال: حَضره الموتُ ولا يقال: شهده الموتُ؟ إذْ لا يصحُّ وصف الموت بالعلم، وأمَّا الإحْضَار فإنه يدل على سخط وغضب، والشاهد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[القصص:٦١].

«الفرق» بين العالم والحكيم، أن الحكيم على ثلاثة أوجُهٍ، أحدها بمعنى المُحْكِم، مثل البديع بمعنى المُبْدِع، والسميع بمعنى المُسْمِع، والآخر بمعنى محكم، وفي القرآن ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

حَكِيمٍ ﴾[الدخان:٤] أي محكم، وإذا وصف الله تعالى بالحكمة من هذا الوجه كان ذلك من صفات فعله، والثالث الحكيم بمعنى العالم بأحكام الأمور، فالصفة به أخصُّ من الصفة بعالم، وإذا وُصف الله به على هذا الوجه فهو من صفات ذاته.

«الفرق» بين الإعْلَام والإخْبَار، أن الإعلام: التَّعريض لأن يعلم الشيء وقد يكون ذلك بوضع العلم في القلب، لأن الله تعالى قد علَّمنا ما اضطررنا إليه، ويكون الإعْلام بنصب الدلالة والإخْبَار والإظْهَار للخبر علم به أو لم يعلم، ولا يكون الله مخبرًا بما يحدثه من العلم في القلب.

الفَرْقُ بَيْنَ ما يُخالِفُ العِلْمَ ويُضادُّهُ

«الفرق» بين العلم والتَّقْلِيد، أن العلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة، والتقليد قبول الأمر ممَّن لا يؤمَنُ عليه الغلط بلا حُجَّة، فهو وإنْ وقع معتقده على ما هو به فليس بعلم لأنه لا ثقة معه، واشتقاقه من قول العرب قَلَّدتُه الأمانةَ: أي ألزمتُهُ إيَّاها فلزمته لزوم القِلادة للعُنُق، ثم قالوا: طَوَّقته الأمانةَ؛ لأن الطَّوْق مثل القلادة، ويقولون: هذا الأمر لازم لك وتقليد عنقك ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء:١٣]، أي ما طار له من الخير والشر والمراد به عمله، يقال: طار لي منك كذا، أي صار حظِّي منك، ويقال: قلَّدْتُ فُلانًا دِيْني ومَذْهبي، أي قلَّدته إثْمًا إن كان فيه وألزمتُه إيَّاه إلزام القِلادة عنقه، ولَوْ كان التقليدُ حقًّا لم يكن بين الحق والباطل فَرْقٌ.

«الفرق» بين التقليد والتَّحَيُّت أن التَّحَيُّت هو الاعتقاد الذي يعتد به الإنسان من غير أن يرجِّحه على خلافه أو يخطر بباله أنه بخلاف ما اعتقده، وهو مفارق للتقليد؛ لأن التقليد ما يقلد فيه الغير والتحيت لا يقلد فيه أحد.

«الفرق» بين النِّسْيان والسَّهْو أن النسيان إنما يكون عَمَّا كان، والسَّهْو يكون عما لم يكنْ، تقول: نسيتُ ما عرفتُهُ، ولا يقال: سهوتُ عما عرفتُه، وإنما تقول: سهوتُ عن السُّجُودِ في الصلاة، فتجعل السَّهْو بدلًا عن السجود الذي لم يكن، والسَّهْو والمسْهوُّ عنه يتعاقبان، وفرق آخر أن الإنسان إنما ينسى ما كان ذاكرًا له، والسَّهْو يكون عن ذكر وعن غير ذكر، لأنه خفاء المعنى بما يمتنع به إدراكه، وفرق آخر، وهو أن الشيء الواحد مُحال أن يُسْهى عنه في وقت ولا يُسْهَى عنه في وقت آخر، وإنما يُسْهى في وقت آخر عن مثله، ويجوز أن يَنْسى الشيء الواحد في وقت ويَذْكُره في وقتٍ آخر.

«الفرق» بين السَّهْو والغَفْلَة، أن الغفلة تكون عمَّا يكون، والسَّهْو يكون عما لا يكون، تقول: غفلتُ عنْ هذا الشيءِ حتى كان، ولا تقول: سهوتُ عنه حتى كان؛ لأنك إذا سهوتَ عنه لم يكن، ويجوز أن تغفل عنه ويكون، وفرق آخر أن الغفلة تكون عن فِعْل الغَيْر، تقول: كنتُ غافلًا عمَّا كانَ من فلانٍ، ولا يجوز أن يُسْهى عن فِعْلَ الْغَيْر.

«الفرق» بين السَّهْو والإغْمَاء، أن الإغْمَاء سَهْو يكون من مرضٍ فقط والنوم سهو يحدث مع فُتور جسم الموصوف به.

«الفرق» بين الظَّنِّ والتصوُّر، أن الظن ضَرْبٌ من أفعال القلوب يحدث عند بعض الأمارات، وهو رُجْحَان أحد طرفي التجوز، وإذا حدث عند أمارات غلبت وزادَتْ بعض الزيادة، فظن صاحبه بعض ما تقتضيه تلك الأمارات سُمِّي ذلك غَلَبَة الظن، ويُسْتَعمل الظنُّ فيما يُدْرك وفيما لا يُدْرَك والتصوُّر يُسْتعمل في المُدْرَك دون غيره، كأن المدرك إذا أدركه المدرك تصوَّر نفسه، والشاهد أن الأعراض التي لا تدرك لا تتصور، نحو العلم والقدرة، والتمثل، مثل التصور، إلا أن التصور أبلغ؛ لأن قولك: تصورتُ الشيءَ معناه أني بمنزلة من أبْصَر صورته، وقولك: تمثلته معناه: أني بمنزلة من أبْصَرَ مِثَالَه، ورؤيتك لصورة الشيء أبلغ في عِرْفان ذاته من رؤيته لمثاله.

«الفرق» بين التصوُّر والتوهُّم، أن تصور الشيء يكون مع العلم به، وتوهُّمه لا يكون مع العلم به؛ لأن التوهُّم من قبيل التجويز، والتجويز ينافي العلم، وقال بعضهم: التوهُّم يجري مجرى الظُّنون يتناول المدرَك وغير المدرَك، وذلك مثل أن يخبرك من لا تعرف صِدْقه عمَّا لا يحيل العقل فيتخيل كونه، فإذا عرفت صدقه وقع العلم بمخبره وزال التوهُّم، وقال آخر: التوهُّم هو تجويز مالا يمتنع من الجائز والواجب، ولا يجوز أن يتوهَّم الإنسان ما يمتنع كونه، ألا ترى أنه لا يجوز أن يتوهم الشيء متحركًا ساكنًا في حالٍ واحدةٍ؟!

«الفرق» بين الظَّنِّ والشَّكِّ، أن الشكَّ: اسْتواء طرفي التجويز، والظن: رُجْحان أحد طرفي التجويز والشاكُّ يجوز كون ما شَكَّ فيه على إحدى الصفتين لأنه لا دليل هناك ولا أمارة، ولذلك كان الشاكُّ لا يحتاج في طلب الشكِّ إلى الظن، والعلم وغالب الظن يطلبان بالنظر، وأصل الشك في العربية من قولك: شَكَكْتُ الشَّيْءَ إذا جمعتُه بشيء تدخله فيه، والشك هو اجتماع شيئين في الضمير، ويجوز أن يقال: الظنُّ قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة، وليس كذلك الشك الذي هو وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر.

«الفرق» بين الظَّن والْحُسْبَان، أن بعضهم قال: الظن ضَرْبٌ من الاعتقاد، وقد يكون

حسبان ليس باعتقاد، ألا ترى أنك تقول: أحْسَبُ أن زيدًا قَدْ ماتَ؟ ولا يجوز أن تعتقد أنه مات مع علمك بأنه حيٌّ، قال أبو هلال - رحمه الله تعالى - أصل الحسْبَان من الحساب، تقول: أحْسبَهُ بالظنِّ قد ماتَ، كما تقول: أعدُّه قد مات، ثم كثر حتى سُمِّي الظن حسبانًا على جهة التوسُّع وصار كالحقيقة بعد كثرة الاستعمال وفرق بين الفعل منهما، فيُقال في الظن: حَسِبَ وفي الحساب حَسِبَ ولذلك فَرّق بين المصدرين، فقيل حسب وحسبان، والصحيح في الظن ما ذكرناه.

«الفرق» بين الشَّكِّ والارْتِيابِ، أن الارتيابَ شكٌّ مع تُهْمة، والشاهد أنك تقول: إني شاكٌّ اليوم في المطر، ولا يجوز أن تقول: إني مُرْتَاب بفلان إذا شَكَكْت في أمْرِه واتَّهمْتَه. فأمَّا:

«الفرق» بين الرِّيبة والتُّهْمة، فإن الرِّيبة هي الخصلة من المكروه تظن بالإنسان فيشك معها في صلاحه، والتُّهْمة: الخصلة من المكروه تظن بالإنسان أو تقال فيه، ألا ترى أنه يقال: وقعت على فلان تهمة إذا ذكر بخصلة مكروهة؟ ويقال أيضًا: اتَّهمتُه في نَفْسي إذا ظننتُ به ذلك من غير أن تسمعه فيه، فالمتهم هو المقول فيه التهمة والمظنون به ذلك، والمريب: المظنون به ذلك فقط، وكل مُريب مُتَّهم، ويجوز أن يكون: مُتَّهم ليس بمُرِيب.

«الفرق» بين الشكّ والامْتِرَاء، أن الامتراء هو[1] استخراجُ الشُّبه المشْكِلة، ثم كثر حتى سُمِّي الشك مِرْيةً وامتراءً وأصله المرْي، وهو استخراج اللبن من الضرع مرى الناقة يمريها مريًا، ومنه مَارَاه مُمارَاةً ومُراءً إذا استخرج ما عنده بالمناظرة، وامترى امتراءً إذا استخرج الشبه المشكلة من غير حل لها.

«الفرق» بين العلم والظن أن الظانَّ يجوز أن يكون المظنون على خلاف ما هو ظنه ولا يحققه، والعلم يحقق المعلوم، وقيل: جاء الظن في القرآن بمعنى الشك في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[الجاثية: ٢٤] والصحيح أنه على ظاهره.

«الفرق» بين الظن والجَهْل أن الجاهل يتصوَّر نفسه بصورة العالم، ولا يجوز خلاف ما يعتقده، وإن كان قد يضطرب حاله فيه، لأنه غير ساكن النفس إليه، وليس كذلك الظان.

«الفرق» بين التصوُّر والتخيُّل، أن التصور تخيل لا يثبت على حال وإذا ثبت على حال لم يكن تخيلًا، فإذا تصور الشيء في الوقت الأول ولم يتصور في الوقت الثاني قيل إنه تخيل، وقيل

(١) امْتَرَى في الشيء: أي شك فيه، وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة ١٤٧]. وامترى الشيء: استخرجه

التخيل تصور الشيء على بعض أوصافه دون بعض فلهذا لا يتحقق، والتخيُّل والتوهُّم ينافيان العلم، كما أن الظن والشك ينافيانه.

«الفرق» بين التقليد والظن أن المقلِّد وإن كان محسنًا للظن بالمقلَّد لما عرفه من أحواله فهو سيظن أن الأمر على خلاف ما قلَّده فيه، ومن اعتقد فيمن قلَّده أنه لا يجوز أن يخطئ فذاك لا يجوز كون ما قلَّده فيه على خلافه، فلذلك لا يكون ظانًّا، وكذلك المقلد الذي تَقْوَى عنده حال ما قلَّده فيه يفارق الظان، لأنه كالسابق إلى اعتقاد الشيء على صفة لا ترجيح لكونه عليها عنده على كونه على غيرها، والظن يكون له حكم إذا كان عن إمارة صحيحة، ولم يكن الظانُّ قادرًا على العلم، فأما إذا كان قادرًا عليه فليس له حكم، ولذلك لا يعمل بخبر الواحد إذا كان بخلاف القياس وعند وجود النص.

«الفرق» بين الجَهْل والحُمْق أن الحمق هو الجَهْل بالأمور الجارية في العادة، ولهذا قالتِ العربُ: أحمقُ من «دغة»، وهي امرأة ولدت فظنت أنها أَحْدَثَتْ فحمقتها العرب بجَهْلها بما جرت به العادة من الوِلادة، وكذلك قولهم أحمق من المَمْهورة إحدى خَدمتيها وهي امرأة راودها رجلٌ عن نفسها، فقالت: لا تنكحني بغير مَهْرٍ، فقال لها: مَهرتُك إحدى خَدمتيك، أي خُلْخَاليك، فرضيَتْ، فحمقها العرب بجهلها بما جَرتْ به العادة في المهور، والجهل يكون بذلك وبغيره ولا يُسمَّى الجهل بالله حُمقًا، وأصل الحمق الضعف، ومن ثَمَّ قيل: البقلة الحمقاء لضعفها، وأحمق الرجل إذا ضعف، فقيل للأحمق أحمق لضعف عقله.

«الفرق» بين الحماقة والرَّقاعة[1] أن الرَّقاعة على ما قال الجاحظ حمق مع رفعة وعلو رتبة ولا يقال للأحمق إذا كان وضيعًا رقيعًا وإنما يقال ذلك للأحمق إذا كان سيدًا أو رئيسًا أو ذا مال وجَاهٍ.

«الفرق» بين الأحْمق والمائق، أن المائق[2] هو السريع البكاء القليل الحزم والثبات، والماقة: البُكاء وفي المثل: «أنا يَئِق وصَاحِبي مَئِق فكيف نتفق»، وقال بعضهم: المائق السيئ الخُلق، وحكى ابن الأنباري أن قولهم أحمق مائق بمنزلة عطشان نطشان وجائع نائع.

(١) رُقِعَ رَقَاعةً: حمق، فهو رَقيع، والجمع رُقَعَاء، وهي رقيعة، والجمع رقائع.
(٢) المَائق: ماق الرجلُ مَوْقًا ومُوقًا، أي حُمِّقَ وهلَكَ حُمْقًا وغباوةً، والمائق: الأحمق، السريع البكاء القليل الثبات، والجمع مُوقَى.